مجلة أنثروبولوجيا ISSN: 2437-041X
مجلد: 04 عدد: 07 السنة 2018 DOI :

منهجية البحث الإثنوغرافي في ميدان العلوم الإجتماعية

Methodology of ethnographic research in the field of social sciences

معتوق جمال، جامعة علي لونيسي البليدة 2، الجزائر.
Matouk59@yahoo.fr
شماخي موسى إسماعيل، جامعة علي لونيسي البليدة 2، الجزائر.
ismailchemakhi88@gmail.com

الملخص:

إن الاستقصاء العقلي جزء من عمل الأنثربولوجي، فكل الباحثين الذين يحاولون الإجابة عن السؤال: من هو الانسان؟ إنما يمارسون الأنثربولوجيا بشقيها:

- الإثنوغرافيا كعملية وصفية ميدانية.
- وكذا الإثنولوجيا كمادة تحريرية.

هذا لا يمنع وجود لائحة طويلة من المفكرين من امانويل كانط إلى تودروف، بإمكانهم تكوين أفكار عن السؤال دون أن تكون لهم تجربة عمل حقلي، بسبب علمهم الغريزة وحدوساتهم اللامعة، فقد مارس " مارسال موس " تأثيرا مستمرا على أفكار الأنثربولوجيا، دون أن يكون باحثا حقليا.

رغم ذلك فإنه ليس في وسع أي انثربولوجي أن يثبت إقفال ثقافة أو حقل، فالإستقصاء لا يقتصر على الوصف داخل المكان الذي يجري فيه الاستقصاء، ولا يمكن أن تحرمه من التحديدات الخارجية التي يدرسها إختصاصيون آخرون مثل الجغرافيين والديموغرافيين والمؤرخين واللغويين وعلماء النفس.

الكلمات المفتاحية:

- البحث، الإثنوغرافيا، الباحث، الإستقصاء، الملاحظة، القراءة، الكتابة.

Abstract:

Mental inquiry is part of the anthropological work. All researchers who try to answer the question: Who is human? They practice anthropology in both:

- Ethnography as a field descriptive process.

- as well as ethnology as an editorial Analytical stage.

This does not prevent the existence of a long list of thinkers from Manuel Kant to Tudorov, who can form ideas about the question without having a field work experience because of their instinctive knowledge and brilliant intuition. Marcel Moss has constantly influenced the ideas of anthropology without being a field researcher .

However, no anthropologist can prove the closure of a culture or field. The survey is not limited to description within the place where the survey is conducted and can not deprive it of external limitations studied by other specialists such as geographers, demographers, historians, linguists and psychologists.

key words:

- Research, ethnography, researcher, survey, observation, reading, writing.

مقدمة:

على الأنثربولوجي في حقل عمله أن يجد نفسه باستمرار غير طارح جانبا، المقولات والإهتمامات التي لا تتوافق مع مقولات ثقافته الأصلية، ولا مع المحصلات المدرسية في مهنته، لقلّة الاعتداد بها، إن موهبته تقوم على إظهار نفسه متقبّلا، ففي اتخاذه موقع " العارف" فإن صاحب المعلومة يعطي "العالم" معرفة يجهد في سبيل فهمها، و المعلومات التي يقدمها تندرج عند الأنثربولوجي في مجموع لا يعرفه، وبالتالي فإن المعرفة التي يعطيها تبقى إلى حد ما منقوصة، لذلك على الأنثربولوجي أن يُكَوِّنَ نفسه على السمع والملاحظة الذكية لما يمارس حوله ولا يترك مجالا لتساؤلات وشكوك معطي المعلومة، فالإثنوغرافيا لم تعترف دائما بمعطي المعلومة كمحدِّث حقيقي، فهي تسحب النزعة الشخصية عن تجربة الإستقصاء الحقلي.

إذن الباحث الأنثربولوجي يمر عبر ثلاثة مراحل للوصول إلى المعرفة الحقيقة هي:

أولا: المرحلة الحقلية.

ثانيا: مرحلة القراءة.

ثالثا: مرحلة الكتابة.

I مدخل إلى الإثنوغرافيا:

1 مفهوم البحث الإثنوغرافي:

يرى "باتون Patton" أن البحث الإثنوغرافي يعنى بالثقافة بشكل خاص، فسؤاله الدائم هو:
- ما ثقافة هؤلاء الناس؟ وهل يفترض أن أي مجموعة من الناس تعيش مع بعضها لفترة زمنية معينة ستكون ثقافة معينة خاصة؟
- ما انعكاسات هذه الثقافة على تشكيل سلوكهم، وممارساتهم الحياتية ونظرتهم إلى الواقع الإجتماعي والثقافي الذي يعيشون فيه؟.[1]

يرى "Young, M" في كتابه " ثقافة الشرطة وطريقة عملهم في بريطانيا" أن البحث الإثنوغرافي "طريقة وأداة لفهم أساليب مجتمع أو جماعة ما وطرقه في الحياة اليومية، من خلال معرفة أفكار أعضائه ومعتقداتهم وقيمهم وسلوكياتهم، وما يصنعونه من أشياء يتعاملون معها، ويتم ذلك عن طريق الملاحظة بالمشاركة في الوضع الطبيعي الحياتي من جانب الباحث، دون الإستعانة بمترجم حتى يستطيع فهم حياتهم الإجتماعية بدقة أكبر".[2]

بمعنى أنه الدراسة الوصفية الدقيقة لمجمل الحياة، عند جماعة إجتماعية ما.

البحث الإثنوغرافي في رأي "تيلوين" منهج لبناء الحقائق، واستنتاج الدلائل والبراهين من المشاهدة الفعلية للظاهرة المدروسة، ويتطلب هذا المنهج من الباحث معايشة فعلية للميدان أو الحقل موضع الدراسة،[3] وعليه يكون الباحث الإثنوغرافي من النوع المشاهد المشارك، ما يجعل البحث الإثنوغرافي واقعا بين حدود البحث الكيفي السوسيولوجي مراد الفهم، والبحث الإجرائي الذي يستهدف الفهم والمشاركة في التغيير نحو الأفضل.

أما علماء الأنثروبولوجيا الأمريكيون، ومنهم "إتكنسون"، و"سميث"، و"ديلامونت"، فقد عرفوا المنهج الإثنوغرافي بأنه الطريقة التي يتم من خلالها وصف ثقافة مجتمع ما، وهو المنهج الذي يستخدمه الباحث لملاحظة السلوك في بيئته ووضعه الطبيعي، ويتوصل من خلال هذه الملاحظات إلى معنى لهذا السلوك.

"البحث الإثنوغرافي هو ذلك النوع من البحوث التي يتم إجراؤها بواقع طبيعي غير متكلف، وبواسطة معيشة الباحث الفعلية الملاحظة بالمشاركة لجميع وقائع السلوك في الحقل، ودونما أي نوع من الضبط المسبق"، [4] ويعتمد المنهج الإثنوغرافي على الوصف والتحليل، باستخدام الكلمة والعبارة، عوضا عن الأرقام والجداول الإحصائية.

تتركز أهميته في كونه يقدم لنا وصفا مكثفا " Thick" Description للظاهرة محل الدراسة، وكما يشير "مايلز" و"هوبرمان"، يسعى البحث الإثنوغرافي إلى الكشف عن "غير المتوقع" أو "المستور" أو "المسكوت عنه"، من خلال دراسة الظاهرة التربوية، اعتماداً على

مشاركة الباحث المتعمقة لمجتمع الدراسة، ولكونه الأداة الرئيسة في جمع المعلومات وتصنيفها وتحليلها.[5]

2 ماهية الإستقصاء العقلي:

مع تطور مفهوم المنهج الإثنوغرافي، أصبح الإستقصاء العقلي أحد مناهجه الرئيسية وذلك عن طريق وصف الظواهر الإجتماعية من خلال الفهم المتعمق لها، فعلى عكس البحث الكمي الذي يركز عادة على التجريب وعلى الكشف عن السبب أو النتيجة بالاعتماد على المعطيات الرقمية، فالسؤال المطروح في البحث النوعي سؤال مفتوح النهاية ويهتم بالعملية " Process" والمعنى "Meaning" أكثر من اهتمامه بالسبب والنتيجة.

وينطلق الإستقصاء العقلي من مفهوم نظري وفلسفي مناقض لمفاهيم البحوث التقليدية، ففي حين يسعى البحث الكمي الإحصائي إلى تحديد الأسباب، والتنبؤ وتعميم النتائج، يسعى الإستقصاء العقلي إلى التبصر، والفهم، والاستكشاف، ودراسة السلوك الإنساني من خلال التفاعل بين الباحث والمبحوثين، وعبر الفهم المتعمق لشعور وأحاسيس وأفكار ومعتقدات المبحوثين، ومن ثم ينتج من هذا التحليل الكيفي نوعا من المعرفة يختلف عن نتائج البحث الكمي.

II المرحلة الحقلية:

إذا كان نقد الأسئلة (المقابلة) يعني إدانة لاستخدامها الحصري، فالجهود التربوية التي يبذلها فرد (مؤهل أو غير مؤهل)، ليشرح استخداما ما أو ممارسة أو تمثلا لغريب، توصل إلى إنتاج مختلط لكنه ليس نتاجا خاليا من المعنى.

تشكِّل القدرة على التعبير خاصية إنسانية نخطئ حين نحرم أنفسنا منها، لكل هذه الأسباب تبدو الإقامة الطويلة في الحقل وقبل بداية الإستقصاء أمرا مرغوبا فيه، فالإقامة تسمح بالتعلم عن طريق التنافذ في العادات واللغة والأعراف والتقاليد بمعزل عن الإستقصاء الإختياري (أسئلة، أجوبة، محادثة، أخذ ملاحظات، تسجيلات....إلخ)، فعلى الأنثربولوجي ألا يهمل تمثل القوانين الاجتماعية: الإيمائيات، الإشاريات، السكوت، الضحك، التعجب....إلخ، فالصداقة التي تعقد مع عائلة أو مع عدة عائلات مستقبلة تخلق روابط قوية تتعزز بتكرر الإقامة اللاحقة و تصبح أرضا خصبة ووجب أن نقول أن موقع الأنثربولوجي هنا يشبه موقع الطالب، فهو يأتي على سبيل المثال ليدرس مفاهيم الشر والحظ العاثر بين الشعوب الأصلية في أستراليا، وسيتاح له بعد جهود طويلة أن يفهم تعقيد التنظيم العشائري وسيرورة تسمية العشائر و الأجيال،[6] وإذا أتى ليدرس علاقة الولد بين سكان جزر بيدجاغو في غينيا- بيساو، فسيكون مجبرا على الإهتمام بإصابة النساء بمسٍّ من أرواح ذكورية ميتة ففي سنوات

السبعينيات قادت الجهود المبذولة لدراسة الواقع الإجتماعي من الداخل، لإعادة طرح الأسئلة على المستوى المعرفي حول تجربة الحقل، فانكباب الإستقصائي على نفسه يعتبر بعدا نقديا في تحليل الثقافات، فقد تعرض إلغاء دور الإستقصائي زمن كلاسيكيات الأنثربولوجيا للنقد بوصفه يحجب الطبيعة التذاوتية في المعرفة الأنثربولوجية في ظل مستوى عال من التجريد شهدتها سنوات الستينيات من خلال المؤلفات المخصصة للإستقصاء الحقلي، وقد أشار العديد من المؤلفين إلى تجارب وحيدة كان المراقب فيها هو آداة بحثه الخاصة.

ففي التجربة الإثنوغرافية نجد المرتقب يدرك نفسه كما لو كان آداة بحثية، فهو مراقب لنفسه بوضوح شديد محاولا الحصول على الآنا الآخر وتقييم ذات نفس الآخرين من خلال الملاحظة الدقيقة والمعمقة، فالمهم الإثنوغرافية تبحث في اعترافات معلنة وكامنة.[2]

تقلب الأنثربولوجيا زخرف الحقائق القائمة، نظرا أن الباحث أثناء إقامته في المجتمع المدروس سيكون مجبرا على الإنغماس خارج حماية الانتقالية في نظام العالم الخاص، فهو يعاين، يشارك، ويشهد عديد السلوكيات المتداخلة لأفراد المجتمع المدروس الحاملة لعديد المعاني، لتجربة الحقل تثير في من يمارسها نوعين من الإثارة:

- في أول الأمر تجعله يفهم أن حياة الناس المدرسين طبيعيا.
- ثاني الأمر هو أن يجد نفسه ملزما بتمزيق نسيج العادات و الأفكار الجاهزة التي شكلت له الحماية حتى الآن.

إن الفارق بين مفكر في غرفته وبين الباحث في الحقل، هو أن هذا الأخير قد شعر بنفسه الباحثة تطورت وآن أوان خوض التجربة، ما يجعلنا نقول أن الأنثربولوجيين هم الذين قاموا بتجربة طويلة من العمل الحقلي واستفادوا من التشابكات اللغوية والثقافية في آن واحد، إنهم في كل الأحوال من أهل الإختصاص بحسب عبارة بيرتولد بريشت، * "إنهم يفكرون برؤوس غيرهم وفي رؤوسهم تفكر رؤوس أخرى، وهذه هي الفكرة الحق"، يعود جمال هذا الاستشهاد الى تعقيداته، ففي هذا السياق علينا أن نعتبر الفكرة الحق فكرة حوارية، قد مرت على تجربة، أو عبر خبرة الغير، فبعض الأنثربولوجيين يهتمون ليس بطريق إعطاء الأولوية لموضوع بحث خارجي، بل بالتجربة الأنثربولوجية بوصفها شكل وعي حصل عبر لقاء ثقافتين.

3 إلزامية الاستقصاء المتكرر في التجربة الحقلية:

إن الفكرة الحوارية التي تحدثنا عنها سابقا يمكن أن تؤدي إلى نتائج بحثية في حقول قريبة جغرافيا من مكان الباحث الأصلي، هذا اذا أقام الإثنوغرافي في مجتمع البحث فترة إجرائه الإستقصاء، إلا أنه قد يفقد قدرته على قلب المفاهيم ما لم يقم لأكثر من زيارات عمل لإجراء بعض مقتضيات الاستقصاء، أن للحقل الميداني معوقاته الخاصة، لكن المفارقة أنه يسهل الوصول اليه، بتردده مرة بعد أخرى وبقائه فيه، ومن جانب آخر يصعب على الباحث أن يتابع

عمليا جوانب استقصائه كدراسة أسرة ما من جميع النواحي بسبب تنوع نشاطات أفرادها، أنها تجربة أساسية في غيابها نفقد تقييم الإثنوغرافي وهنا تكمن صعوبة البحث الإثنوغرافية لهذا وجب أن توصف الدراسة الحقلية في شكل مطبوع فتكون بذلك مصدرا ثمينا لمن يأتي بعد، ومن خلال قراءة حادة ذهنيا يدرك الباحثون الباحثون أن هاته الدراسة السابقة هي انطلاق لدراسة جديدة قد تكون أكثر دقة.

4 الدراسات الإثنوغرافية وعائق الأيديولوجيا:

أظهرت دراسة السياق التاريخي للممارسة التي تقوم بها الأنثربولوجيا (دراسات ما بعد الحقل الاستعمارية)، البعد السياسي لدور الأنثربولوجي بوصفه وريثا للإستعمار.[3]

يؤكد ذلك " ميشال ايريس " الذي شعر بأن السياق السياسي وعلاقة الإستقصائي بحقله يشكلان جزءا من المعطيات الإثنوغرافية في كتابه "إفريقيا الشبح" الذي يصور يوميات البعثة الاستعمارية دكار_جيبوتي_، كتابا شديد الأهمية، وقد أصدره "ميشال ليريس" رغم غضب وممانعة رئيس البعثة، الذي كان يخشى أن تحرم صورة الإثنوغرافية والإداريين الإستعماريين الأوائل من مساعدات لوجيستية ثمينة، يظهر الإستقصاء من يوم ليوم في أوساط الإثيوبيين في "غوندار" المدى الذي كان فيه الإثنوغرافي بعيدا عن امتلاك اللعبة، فهو مع ذلك يمارس سلطة رمزية: سلطة وصف الآخر، وأن يحول تجربته إلى نص مكتوب، فالمستعمر بطبيعة الحال أو المتحدّر منه هو من يصف المستعمَر أو المتحدّر منه، وهي ما نطلق عليه النفسية الفيكتورية، ويوافق هذا المفهوم سيطرة المستعمر إثنيا وثقافيا، والإيمان بثقافة واحدة (ثقافة المستعمر)،[4] انها الذهاب و العودة، بين الآخر وذات النفس، وقد أشار "بيير بورديو" عام 1979 إلى ذلك في عنوان الكتاب "La distinction" بينهم وبيننا، أن ذلك هو ما يتيح تحديد هوية ما يبدو لنا بمثابة الشيء الواضح حتى أننا لا نطرح السؤال حول نسبيته، [5] فالإثنوغرافي قد يساعد أحيانا ليستخدم في استراتيجيات محلية فيواجه بعض الصعوبات في الحفاظ على حياده، فالمتخاصمون مع الاثنوغرافي اثناء إجرائه الإستقصاء يشكلون الإستقصاء بذاته، إنهم يثيرون أسئلة غير منتظرة في البداية و يشيرون إلى كيفية عمل مجتمع أو مجموعة اجتماعية.

إن فكرة الحقل، كحقل تجربة أو كمختبر أو كاحتياط، هي فكرة متنازع عليها في يومنا هذا من قبل مفكري العوامة وحركية الثقافات، وباتت حركات السكان اكثر تسارعا، والعمل الحقلي بات يأخذ شكل شبكة تتيح تتبع حركة الإنسان المعاصرة. لقد غدا الحقل مختلفا: نحن مدربي معسكرات اللاجئين والجماعات الإفتراضية، فالإستقصاءات تدور منذ الآن وفي وقت واحد في بلدان الأصل وفي البلدان المضيفة التي تستقبل جماعة مشتتة، مثل صينيين باريس، والمتحدرين من هايتي في بروكلين. بالنسبة إلى انثربولوجي من بلدان الجنوب درس

وتعلّم في الغرب، لا يعني الحقل أن يذهب إلى أرض مجهولة بل إنه يعني العودة إلى بلده، وهي ذاتية، وهي ذاتية مسبقة الدراسة الميدانية الإثنوغرافية.

III مرحلة القراءة:

إذا كان برنامج الأنثربولوجيا الحقلية يقوم على فهم الثقافات من خلال مراقبة السلوكات وتحليل الخطابات، فإن الأنثربولوجي لا يفهم ما رآه إلا ببذل جهدا آخرا مختلفا، ذلك أنه يعالج ملاحظاته بعلم جمعه من الأدبيات بخصوص أشكال إجتماعية أخرى تختلف في الزمان و المكان، فلا تتحدد مهنة الأنثروبولوجيا بعيش مغامرة الحقل وعبر محاولة فهم مجتمع ما من الداخل، ذلك أن الباحث يسافر ورأسه مليء بمكتبة حية، فعليه إذن كما سبق أن رأينا أن يدير بعض التوتر بين الحوار الذي يقيمه في الحقل مع محدثيه وبين الحوار الأكثر تجريدا والذي يقيمه مع كُتَّابه، ففي كل مرة عليه أن يعمد إلى تمرين صعب يقوم من جانب أول على عدم خنق تجاربه الحقلية بما يعرفه مسبقا وعليه من جانب آخر أن يعزز فضوله بما عنده من ثقافة أأثربولوجية، فأعمال كل من "مالينوفسكي"، و"ألفرد ر.كليف-براون" أو "مارغريت ميد"، طرحت حسب موقع كل واحد منهم من خلال الثقافة الخاصة، فجميعهم يحاول بالتحديد الخروج منها ليقيم حوارا مع كتَّاب أزمان أخرى وأماكن أخرى وحقول اختصاصات أخرى، فإذا لم يكن في وسع بعض الحقائق أن تقاوم الإتساق الجذري، فإن ممارسة الوصف الإثنوغرافي لا تساوي الجهود التي يتضمنها، هذا ما عبّر عنه "يورغن هابرماس"، إذ أشار إلى أن المفكرين الكبار يلبسون ثياب عصرهم، [6] لكن أفكارهم هي لكل الاوقات، صحيح أن كلاسيكي الأنثربولوجيا قد شاخوا، وهم يعيدوننا أثناء قراءتنا لهم الى العصر الذي كتبوا فيه إلا أنهم وفي الوقت نفسه، يقولون شيئا عن الوضع البشري يتجاوز الحتميات المحلية والظروف المعاشة، إن قراءتهم ليست بالتمرين السهل، ذلك أن المتقدمات العلمية ليست أحادية الجانب، وعلينا الحذر حتى لا نقع في إنتاج تفسير خاطئ يتبخر بمرور الوقت، ومنه يلزمنا هذا العامل القيام بقراءة مزدوجة:

- أولا، قراءة النص في سياق العصر الثقافي.
- ثم قراءته بالشكل الذي نقدر عليه في أيامنا بفضل معارفنا المكتسبة. [7]

لنأخذ مثالين إثنين، لا يمكننا أن نفهم كتاب أنثروبولوجيا طبع قبل عام 1920، دون أن نأخذ بعين الإعتبار النقاش الذي دار بقوة حول التطور منذ طباعة كتاب "تشارلز روبرت داروين"، "أصل الأنواع" 1859، كما لا يمكننا أن نفهم السمة المبالغ فيها أحيانا، سمة التيار الثقافي الأمريكي، ما لم نأخذ بعين الإعتبار إلتزامه ضد العرقية المسيطرة آنذاك، كما علينا أن نقرأ بل أن نعيد قراءة "كارل ماركس" و"فريديريك نيتشه" و"ماكس فيبر"، وأن نكون ربما أكثر من قراء، ففي إختصاص كالأنثروبولوجيا، يصبح من المهم العودة إلى النصوص، وأن لا نقنع

بتلخيص الملخصات، حينها نعيد اكتشاف ثروات لا شك فيها، فـ"إيميل دوركايم" الذي اعتبرت نظرياته نظريات لا تاريخية كان يعتبر التاريخ وعلم الإجتماع بمثابة وجهتي نظر مختلفتين حول حقيقة واقعة واحدة، وجب أن نتعلم من كتاباته مجموع المعارف والإستعدادات للبعد الأخلاقي، والقيم والمبادئ العملية.

إذن حين نبدأ في قراءة كتاب أنثروبولوجي، لا يمكننا الإكتفاء بالقول إنه مكتوب بشكل جيد أو سيء، أو أن لغته مطنبة، أو متعقد الأفكار، بل علينا أن نتساءل عن بنيته، وكيف وسع المؤلف براهينه، وتقنياته المنتهجة لإقناعنا.

IV مرحلة الكتابة:

وجب على الأنثروبولوجيين ان يسالوا أنفسهم عن اللغة التي وجب أن يستخدمونها، وإذا كان العلم موجودا فهو يتأسس على بناء نظري انطلاقا من معلومات متحصل عليها بواسطة اللغة كرمز للتواصل، فكل نقاش يتناول إمكانية إعلان الحقيقة أو الحقائق لابد له من مواجهة اللغة والكتابة، فلقد أوجد الأنثروبولوجيون الكثير من العبارات المستحدثة أملا بإعطاء الكلمات مدلولا أكثر تقنية، ما يتيح لهم الإفلات من ضبابية المعنى المشترك، ووجب أن نقول بأن هذا المصطلح المتخصص حد إقامة إجماع فعلي، إلا أن أهل الإختصاص قد توافقوا على رهانات النقاش الحاصل حول هذا المفهوم أو ذاك، فوصولا إلى سنوات الثمانينيات، لم يكن علماء الأنثروبولوجيا قد طرحوا بعد تساؤلات حول فكرة "واقع خارجي جامد"، يمكن اكتشافه بإطراد اللغة، فمدرسة إيميل دوركايم كانت قد عارضت تجريبية الفلاسفة الوضعيين، [8] وهي تؤكد أنه على العالم أن يبني موضوع بحثه في نسق لغوي واضح ومتسق، وبقطيعة إبيستيمولوجية، وهو ما تجسد في الدراسات الثقافية بأمريكا إذ عارضت إصطلاحات الإثنوغرافيا السردية واعتبرت بأن الكتابة ليست تحصيل حاصل بل إشكالية من حيث التحديد، وهو الأمر الذي ترك أثرا على طريقة مقاربة العلوم.

يفترض كل أسلوب نظرية ما (تصورا عاما حول مكمون مدار البحث) وإرثا ثقافيا (الأدب)، والتزاما أخلاقيا (بأن نفهم لا نحكم)، شيئا فشيئا أعادت الدراسات التي تتناول شروط إنتاج المعرفة العلمية والتساؤل حول اليقينيات، رواية التجربة المعاشة على حساب النظريات الكبرى، فحاليا يجهد علماء الأنثروبولوجيا في سبيل عرض الطرق التي استطاعوا بواسطتها التفكير فيما يفكرون فيه، لإنهم يجهدون في سبيل تفسير الأخذ والرد بين النظرية وبين الحقل بإعادة إحياء صفة الإثنوغرافي الحوارية، [9] فالنصوص تفرد مكانا واسعا لأصوات أخرى غير أصوات الباحث:

- الأصوات التي تخرج من الوثائق والسجلات.
- أصوات المتحاورين في الحقل.

- أصوات الفلاسفة ومنظري الأدب، وأصوات الكتاب.

بالإضافة إلى التفاعلات الإجتماعية، فالأنثروبولوجيا دورها الكلام وأعمال التواصل، فلا نعتقد أن فردا ما يمثل بالكلية ثقافته، بحيث يكون فيها عبارة عن مجاز مرسل، أو نموذجا تمثيليا في كل أفعاله وآرائه، بتنويع المراجع وتحاشي المتكلمين الرسميين، وأن نحصل على وجهات نظر تخص المرأة وأن لا نتجاهل الضعفاء والخاضعين للسيطرة، فالفكرة التي تقول أن المجتمعات البسيطة أو المحدودة إنما هي مجتمعات توافقية، هي فكرة جرى تكذيبها وقد تم ذلك بمقدار ما كانت الدراسات في الحقل أكثر دقة، لذلك على الكتابة أن تمتنع عن إذابة هذا التنوع في وحدة مجردة.[10]

V خاتمة:

وفي الأخير وجب أن نقول بأن الأنثروبولوجيا قد صارت تخصصا يجمع تخصصات أخرى، فهي تضيف إلى نظرتها الخاصة نظرات علوم إنسانية أخرى، مرورا بالأدب الذي تدخل في محادثة معه، وكذا الفلسفة وعلم النفس والتحليل النفسي وعلوم اللغة، والعلوم السياسية والإقتصاد والجغرافيا والتاريخ، فهي تشارك في النقاشات العامة مع الصحفيين والكتاب والسينيمائيين والفنانين، يستفيد منها الأنثروبولوجيون ليس باعتبارها مصادرا بل لما تضم من منظور نظري ومن طريقة في العرض، فثمة تقنيات أخرى غير الكتابة مثل السينيما والفيديو قد أسدت إمكانية إضفاء أجواء وصفة تفاعل ومتابعة سير عمل الأنثروبولوجي حتي يصل إلى حقيقة أكثر دقة.

المراجع:

[1] Patton m, qualitative research and evalvation methods, sage publication, london, 2002, pp67-68.

[2] David N Gellner , Eric Hirsch, Inside Organizations Anthropologists at Work, Berg Editorial offices, New York, usa, 2001, p1.

[3] تيلوين مصطفى، مدخل عام في الأنثروبولوجيا، دار الفارابي للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2011، ص ص 101-105.

[4] Hammersley, atkinson, Ethnography principile and practice, library of congress, new york , usa, 1995, p10.

[5] بوحوش عمار، مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط4،2007، ص137.

[6] عبد اللطيف الحرز، بحوث في مدرسة الصدر بين الخلدونية والهيغلية، دار المحجة البيضاء، بيروت، لبنان، 2010، ص 165.

[2] كلود ليفي ستراوس، الأنثربولوجيا البنيوية، ت.مصطفى صالح، دار الحوار، دمشق، سوريا، 1983، ص419.

[*] بيرتولد بريشت ولد بأكسبورغ، 10 فيفري 1898، كاتب و مخرج و مسرحي ألماني، اشتهر بمناهضته لقيم التسلط ودعوته للعدالة الإنسانية ما تسبب في سجنه ونفيه ومنعه دخول ألمانيا، أول من جاء بفكرة هدم الجدار الثامن في العمل المسرحي و اعتبر أن الجمهور لا نستطيع فهمه الا إذا تحدثنا بأفكاره، توفي عام 1956.

[3] جيرار لكلرك، الأنثربولوجيا والإستعمار، ت.جورج كتورة، المؤسسة الجامعية للدراسات واانشر والتوزيع، بيروت، لبنان،1990، ص 26.

[4] نفس المرجع، ص 26.

[5] نفس المرجع، ص 39.

[6] يورغن هابرماس، الأخلاق والتواصل، ت.أبو النور حمدي، أبو النور حسن، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2012، ص136.

[7] نفس المرجع، ص 138.

[8] إيميل دوركايم، قواعد المنهج في علم الإجتماع، ت. محمد قاسم ومحمد بدوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1988، ص46.

[9] نفس المرجع، ص ص70-71.

[10] هارلبس وهوربون، سوسيولوجيا الثقافة والهوية، ت. حاتم حميد محسن، دار الكيوان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2010، ص18.